التطرف الإيديولوجي للفاعلين السياسيين وإشكالية اللغة الأمازيغية في الجزائر

The ideological extremism of political actors and the problem of Amazigh language in Algeria

الدكتور/محمد بوقشور

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر

mboukechour@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2019/02/04 تاريخ القبول للنشر:2019/02/13

❖❖❖❖❖❖❖

ملخّص:

عرفت الوضعية المؤسساتية للغة الأمازيغية في الجزائر تحسنا مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، وخاصة بعد تجاوب المؤسسات الرسمية للدولة مع المطلب الأمازيغي، بإنشاء المحافظة السامية للأمازيغية سنة 1995م، ودسترتها على التوالي: كلغة وطنية في دستور2008م، ثم كلغة رسمية في دستور2016م.

لكن المجتمع الجزائري ما لبث أن تفاجأ من جديد بانفجار صراع ظاهره ثقافي وباطنه سياسوي تقوده أطراف يدفعها تطرفها الإيديولوجي لاختزال اللغة الأمازيغية في اللهجة القبائلية، والانتصار للحرف اللاتيني عند كتابتها.

وعليه فإن السؤال الرئيسي الذي يسعى هذا المقال للإجابة عليه هو:

كيف انعكس التطرف الإيديولوجي للفاعلين السياسيين على اللغة الأمازيغية في الجزائر؟

الكلمات المفتاحية: الفاعلون السياسيون؛ الأيديولوجيا؛ اللغة؛ الأمازيغ؛ اللغة الأمازيغية.

Abstract:

The institutional status of the Amazigh language in Algeria was improved in the early 1990s, especially after the official state institutions responded to the Amazigh demand in terms of establishing the Amazigh High Governorate in 1995, as well as its constitution respectively as a national language in the Constitution of 2008 and then as an official language in the 2016 constitution.

But the Algerian society was once again surprised by the eruption of a conflict characterized by cultural appearance and political undercurrent led by parties driven by its ideological radicalism to reduce the Amazigh language in the tribal dialect and triumph of the Latin alphabet when writing it.

So the main question that this modest article seeks to answer is: How did the ideological radicalization of political actors reflect the Amazigh

Language in Algeria?
Keys words:*Political actors - Ideology - Language - Amazigh.*

مقـدّمـة:

أكدت الوثائق الرسمية التي أصدرتها الدولة الجزائرية خلال العقود الثلاثة الأولى من الاستقلال، على البعدين العربي والإسلامي للهوية الوطنية، وتجاهلت تماما بعدها الأمازيغي واللغة الأمازيغية تحديدا.

ولم تعرف الوضعية المؤسساتية للغة الأمازيغية تحسنا، إلا مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، ليتواصل بعدها تجاوب المؤسسات الرسمية للدولة مع المطلب الأمازيغي، وذلك بإنشاء المحافظة السامية للأمازيغية، بموجب المرسوم الرئاسي الصادر بتاريخ: 28 /05/ 1995م، ليتم الشروع في تجسيد ما ورد فيه على أرض الواقع، مع انطلاق تدريس اللغة الأمازيغية في الطور الثانوي بمناطق معينة، ثم توسع لاحقا إلى أطوار ومناطق أخرى.

وبالرغم من أن السيد رئيس الجمهورية "عبد العزيز بوتفليقة" الذي سبق له وأن أكد في بداية عهدته الأولى، بأنه لا يمكن ترسيم اللغة الأمازيغية إلا من خلال استفتاء رسمي للشعب الجزائري، إلا أنه تراجع وقرر دسترتها على التوالي: كلغة وطنية في دستور2008م، ثم كلغة رسمية في دستور2016م.

وفي الوقت الذي لقي هذا القرار استحسان شرائح واسعة من الشعب الجزائري، لأنها اعتقدت أن ورقة اللغة الأمازيغية سحبت نهائيا من سوق المزايدات السياسوية، وأن مهمة ترقيتها سوف تسند للخبراء وأهل الاختصاص، فوجئ المجتمع الجزائري بانفجار الصراع من جديد بين أطراف يدفعها تطرفها الإيديولوجي لرفع صوتها عاليا في محاولة مشبوهة منها لاختزال اللغة الأمازيغية في لهجة منطقة القبائل، والانتصار للحروف اللاتينية عند كتابتها.

ولأن المدرسة الجزائرية كانت ولا تزال حلبة الصراع الحقيقية للفاعلين السياسيين في الجزائر، طالما أن كل طرف يريد التمكين من خلالها لمشروع المجتمع الذي يطمح إليه، فإن السؤال الرئيسي الذي يثيره هذا المقال هو:

كيف انعكس التطرف الإيديولوجي للفاعلين السياسيين على اللغة الأمازيغية في الجزائر؟

أما محاولة الإجابة علية فسوف تركز على العناصر التالية:

أولاً- مدخل مفاهيمي.

ثانياً- الدولة الوطنية واللغة الأمازيغية في الجزائر.

ثالثاً- الأحزاب السياسية وإشكالية اللغة الأمازيغية في الجزائر.

رابعاً- سياسات الإصلاح التربوي وإشكالية اللغة الأمازيغية في الجزائر

أولاً

مدخل مفاهيمي

تحتل المفاهيم مكانة أساسية في كل نقاش أو تحليل علمي جاد، لذلك يتوجب الوقوف بداية عند أهم المفاهيم التي سوف يتم اعتمادها بمزيد من النقاش والتحليل، وهي:

1- الفاعلون السياسيون:

الفاعلون السياسيون هم أفراد أو جماعات منتسبون إلى أحزاب أو تنظيمات أو مؤسسات سياسية وغير سياسية أو جماعات ضغط ظاهرة أو خفية، يمتلكون القدرة على صناعة القرار السياسي أو التأثير فيه، بغض النظر عن الخلفيات والقناعات والمصالح التي تحركهم[1].

والمقصود بالفاعلين السياسيين هنا هم أولئك الذين اشتغلوا أو يشتغلون من خلال نشاطاتهم السياسية المعلنة منها والمستترة على مسألة اللغة الأمازيغية، بغض النظر عن مواقعهم وخلفياتهم الإيديولوجية وأهدافهم الحقيقية، وعن الجهات التي تدعمهم.

2- الأيديولوجيا:

تعبر الأيديولوجية عن ارتباط الفكر بالأصول الاجتماعية، وهي ذلك الجزء من الوعي الاجتماعي، الذي يرتبط بشكل مباشر بحل المشكلات الاجتماعية الماثلة أمام المجتمع، وتعمل في تعزيز أو تغيير العلاقات الاجتماعية، وهي نسق الأفكار السياسية والأخلاقية والجمالية والدينية[2].

وتبدو الأيديولوجيا في فكر " كارل ماركس" أكثر إقناعا، حيث يعرفها بأنها: "أية نظرية أو نسق من الأفكار، تتخذ من تبرير تطلعات وأوجه نشاط جماعة ما من البشر وظيفة اجتماعية لها ". وهي أيضا حسب رأيه: "التعبير العقلي أو الفكري المحدد تاريخيا غن جملة من المصالح ضمن وضع أو موقف معين". ويضيف "ماركس" و"إنجلز" إلى ذلك، أن الأيديولوجيا السائدة في المجتمع هي أيديولوجية الطبقة الحاكمة، بحكم النفوذ والملكية لوسائل الإنتاج والسيطرة على الاقتصاد والسياسة[3].

وعن تجليات الصراع الإيديولوجي في الواقع اليومي للمجتمع الجزائري، فإن نظامه التعليمي الذي فشل في إرساء قواعد تستجيب لحاجاته وطموحاته في بلوغ أهداف التنمية الشاملة[4]، كان ولا يزال حلبة الصراع الأيديولوجي المفضلة للفاعلين السياسيين على اختلاف مرجعياتهم وولاءاتهم.

وفي هذا المجال تحديدا أكد "محفوظ بنون"[5]. أن النظام التعليمي في الجزائر ظل ضحية خطاب أيديولوجي –سياسي "الأصالة والحداثة"، حيث أنه في كل مرة، وتحت مبرر إيجاد التمفصلات بين هذين المطلبين، كان يتم تسييس المدرسة. علما أن فعاليتها على حد تعبيره مرهونة بإضفاء الطابع العمومي وتجسيد استقلاليتها من كل هيمنة سياسية، اقتصادية، دينية وإيديولوجية .

وحتى بالنسبة للأزمة التي مرت بها الجزائر أثناء ما يعرف بالعشرية السوداء مع نهاية القرن الماضي، والتي شكلت حقلا خصبا لدراسات عديدة ومختلفة، فإنه يمكن لكل من يطلع عليها أن يلاحظ كيف تحكمت فيها أيديولوجيات مختلفة أدت على حد قول" بيار بورديو "[6]. إلى إنتاج خطاب أيديولوجي يتحدث باسم المجتمع ونيابة عنه، بعيدا عن الخطاب الذي يسمح للمجتمع بالتعبير عن ذاته.

3- اللغة:

اللغة بشقيها المنطوق والمكتوب هي الميزة الأولى التي تحدد هوية الإنسان كإنسان. وعلى حد تعبير الباحث التونسي "محمود الذوادي": "استعمل لغة، إذن أنا موجود". وقد حاز مفهوم اللغة على اهتمام علماء اللغة وعلماء العلوم الإنسانية والاجتماعية، فنشأت مدارس على غرار:

- المدرسة البنيوية السلوكية:

التي طورت مفهوم العلاقات السياقية الذي جاء به "دي سوسير" إلى منهج التحليل إلى المكونات المباشرة الذي تعامل مع السلسلة المنطوقة على أنها مؤلفة من مكونين متلازمين يمكن تحليل كل منهما إلى مكونين متلازمين جديدين.. وهكذا [7].

- المدرسة البنيوية الاجتماعية:

التي أنضجت مفهوم المعنى الدلالي وأصبح مساويا لمجموع المعنى المقالي و المعنى المقامي.

- المقاربة التواصلية:

التي تنوعت مرجعياتها، و قدمت للحقل التربوي معطيات و مفاهيم جديدة. حيث أكدت على أنه لا يمكن عزل اللغة عن مواضيع استعمالها. لذلك يجب الانطلاق أثناء تعليم اللغات من ثقافة المجتمع و أحواله، مع الأخذ بعين الاعتبار المجتمعات الكلامية السائدة فيه[8].

- التفاعلية الرمزية:

ولعلها أكثر من حاول توظيف اللغة لفهم و تفسير ظاهرة التفاعل الاجتماعي. وتستند التفاعلية الرمزية إلى جملة من المفاهيم الأساسية، منها على الخصوص : الرموز و المعنى، التوقعات و السلوك، الأدوار و التفاعل[9].

فالمجتمع حسبها يستمر بسبب قدرة الناس على استخدام السلوك الرمزي نتيجة لامتلاك اللغة وتعامله معها، و نتيجة كل ذلك هي الوعي الذاتي. فالطفل يصبح واعيا نتيجة لخبرته باللغة و تعامله معها (حيث يتعلم معاني الكلمات والاتجاهات المرتبطة بها، ثم يتعلم ما يتوقعه الآخرون، ثم يكتسب بدوره توقعات مشابهة لتوقعات الآخرين). وتسمى مجموعات التوقعات المرتبطة بسلوك أشخاص معينين أدوارا وتشكل الأدوار المعممة (كأب، الأم، المدرس...الخ) الثقافة، أو هي موجودة في الثقافة الخاصة بمجتمع معين في زمن معين.

وقد عرف العالم اللغوي العربي الشهير "ابن جني" اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وحسب "محمود الذوادي" هو تعريف دقيق جدا في جوهره ومتناسق مع تعريفات اللغة عند الباحثين المعاصرين، لأنه يحدد الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، كما يحدد العلاقة الفطرية والعضوية واللازمة أيضا بين اللغة كأصوات والأذن كحاسة سمع لها[10].

ولأن اللغة هي المنشئة للرموز الثقافية، وهي الناقلة لها بين الناس في المجتمع الواحد وبين الشعوب والأمم، فإنها ليست حيادية في أي حال من الأحوال، على اعتبار أنها الوعاء الذي يحفظ ثقافة المجتمع، وهي الأداة المثلى للتواصل. و هنا تكمن أهمية اعتماد اللغة الوطنية لأي مجتمع في تعليم أبنائه،

لأنها الضامن الوحيد لتوريث ثقافته للأجيال، وحمايتها من مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي التي ما فتئت تتعاظم مع تيارات العولمة الجارفة.

4- اللغة الأمازيغية:

تصنف اللغة الأمازيغية كلغة أفرو أسيوية، وهناك من ذهب إلى إمكانية اعتبارها متفرعة مباشرة من اللغات السامية، وأنه بالإمكان الوصول إلى إعادة بناء اللغة السامية الأم انطلاقا من المقارنة بين اللغة العربية القديمة واللغة الأمازيغية.

والأمازيغية هي لغة الأمازيغ الذين استوطنوا شمال إفريقيا، وهم يتوزعون على الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى أقصى الحدود الليبية شرقا، ويطلق عليهم أيضا اسم البربر. ومن بينهم على سبيل المثال:

- **في المغرب الأقصى:** "الشلح"، "الريافة"، "السوس".
- **في الجزائر:** "الشاوية"، "القبائل"، "بنو ميزاب"، "الشناوة"، " الرقيبات".
- **في تونس:** " الجرابة".
- **في ليبيا:** "الغرابة".

وجدير بالذكر هنا أنه وبالنسبة لسكان الجزائر تحديدا، فإن أغلبية الأمازيغ هم غير ناطقين بالأمازيغية، ومنهم على سبيل المثال السكان الذين تعود أصولهم إلى قبيلة كتامة، وهي واحدة من أكبر القبائل الأمازيغية التي تخلت عن لسانها الأمازيغي، لدرجة أنها أصبحت تنعت "بقبائل الحضرة"، وهي إشارة واضحة لاندماجها الطوعي في الحضارة العربية الإسلامية.

لذلك فكونك ناطقا بالأمازيغية لا يعني بالضرورة أنك أمازيغي العرق، وكون غير ناطق بالأمازيغية لا يجردك بالضرورة أيضا من أصولك الأمازيغية. فاللغة لم تكن يوما دليلا على أصول الناطقين بها، وإلا أصبح الملايين من أبناء المهاجرين الجزائريين من الجيل الثاني والثالث من أصول فرنسية، لمجرد أنهم لا يعرفون سوى اللغة الفرنسية.

وعلى حد قول "أحمد بن نعمان"[11]: "فإنه طالما أن السمات الأساسية لأي شعب تتكون أساسا من نوعية ثقافته، ولأن النظريات الأنثروبولوجية التي بحثت في موضوع الشخصية والثقافة أثبتت أن مسألة العرق لا تمت بصلة إلى موضوع الثقافة، لأن الثقافة من سماتها الأساسية أنها مكتسبة. أما العرق فهو وراثي، ومن ثمة فإن الصفات الشخصية لأي شعب تتكون من نوعية ثقافته، وليس من فصيلة دمه أو لون شعره أو شكل جمجمته...".

ثانياً

الدولة الوطنية واللغة الأمازيغية في الجزائر

وجب التنبيه بداية بأن التركيز هنا على اللغة الأمازيغية، ليس اختزالا للبعد الأمازيغي للهوية الوطنية الجزائرية في عنصر اللغة، ولكن لأنه قد يصعب القفز عليها في أي محاولة جادة لفهم وتفسير هذا البعد.

وبخصوص اللغة الأمازيغية تحديدا، اتضح منذ الوهلة الأولى لاستقلال الجزائر إصرار السياسي الذي امتلك سلطة القرار، على تجاهل تلك البدايات الأولى التي تشكلت خلالها الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري، عندما قفز على بعدها التاريخي وواقعها اللغوي واختزلها فقط في العروبة والإسلام.

وفي هذا المجال أكد "عبد الرحمان شيبان"[12] باعتباره عضوا في المجلس الوطني التأسيسي في الفترة ما بين (1962-1964م) – أن المجلس المكلف بصياغة الدستور كان منقسما إلى تيارين، الأول كان إسلاميا و الثاني كان شيوعيا. وعندما طرحت قضية الإسلام واللغة العربية، طرح التيار الشيوعي فكرة أن الإسلام دينا للشعب، والعربية كذلك لغة الشعب و ليس للدولة، لكن التيار الإسلامي عارض هذا الطرح، واستطاع أن يفرض الإسلام دينا للدولة، والعربية لغة الجزائر الرسمية. ولم يحدثنا "عبد الرحمان شيبان" عن تيار ثالث أثار فكرة البعد الامازيغي للهوية الوطنية، أو دافع عن اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة رسمية أو حتى وطنية.

وتكفي العودة فقط لمضامين الوثائق الرسمية التي أصدرتها الدولة الجزائرية خلال العقود الثلاثة الأولى من الاستقلال، ليتجلى بكل وضوح تأكيد هذه الوثائق على البعدين العربي والإسلامي للهوية الوطنية، وتجاهلها التام لبعدها الأمازيغي بصفة عامة، واللغة الأمازيغية على وجه الخصوص.

فقد أكد الرئيس الراحل "هواري بومدين"[13] على سبيل المثال في خطاب له بتاريخ: 03/30 /1968 "...إن من أهم المشاكل التي يواجهها التعليم منذ الاستقلال مشكلة التعريب وتكوين الإطارات باللغة العربية...". وأضاف :"...أنه بدون استرجاع عنصر اللغة (يقصد هنا فقط اللغة العربية)، فإن مجهودنا سيظل أبترا وشخصيتنا ناقصة وذاتيتنا جسما بلا روح...". كما أكد في خطاب آخر له بتاريخ:01 /1968/11 قائلا: "..كما قررنا أنه ابتداء من السنة المقبلة (1969) ستصدر سائر إداراتنا ومؤسساتنا أهم نصوصها ووثائقها الرسمية باللغة الوطنية أيضا كخطوة جديدة نحو تعريب الإدارة ونحو إرجاع المكانة اللائقة بها في حياتنا اليومية والوطنية...". ولم يعرف عن الرئيس الراحل هواري بومدين الذي ينحدر من أصول أمازيغية أنه اهتم يوما باللغة الأمازيغية.

ولم يتطرق دستور عام:1976م إلى اللغة الأمازيغية، لكنه بالمقابل أكد في مادته الثالثة أن: "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، تعمل الدولة على تعميم استعمال اللغة الوطنية في المجال الرسمي". وهو الأمر ذاته الذي نصت عليه الدساتير اللاحقة مع حذف الشطر الثاني من المادة كما هو الحال في دستور1989م.

ويمكن لكل متصفح لوثائق الإصلاح الرسمية التي سبقت أحداث أكتوبر 1988 وخاصة أمرية 16 أفريل 1976م، أنها ولأسباب إيديولوجية جاءت خالية من كل إشارة إلى تعليم اللغة الأمازيغية.. وتمثلت الأهداف الكبرى التي سعت إلى تحقيقها هذه الأمرية فقط في[14]: التعريب - ديمقراطية التعليم - الاتجاه العلمي والتقني - الجزأرة.

وانطلاقا من النصوص الأساسية التي سيرت البلاد بمقتضاها، كان الفاعلون السياسيون الذين بيدهم الحل والربط يظهرون موافقتهم على التعريب ويتخذون بعض التدابير التي توهم المواطن العادي

بأنهم صادقون فيما يظهرون، لكنهم في الواقع كانوا يصدرون الأوامر الصارمة لإبعاد اللغة العربية عن مختلف ميادين الحياة اليومية. ولقد كانوا في ذلك مدفوعين بهيمنة الفكر الاستعماري عليهم، سواء بسبب التزاماتهم الأيديولوجية كما هو الأمر بالنسبة للذين كونهم الاستعمار خصيصا ليواصلوا مهامه، أو بسبب عدم الوعي أو قلته بالنسبة لبعض الإطارات الوطنية التي ظلت رغم التغيرات التي أحدثتها الثورة، عاجزة عن رفع التحدي واتخاذ القرار المستقل[15].

وفي هذا المجال ألح الباحث التونسي "محمود الذوادي"[16] في "ندائه إلى ثورة أخرى" الذي استهل به كتابه "الازدواجية اللغوية الأمارة" على أهمية تحرر النخب السياسية والفكرية والمتعلمين والطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة من الاستعمار اللغوي الثقافي الغربي، الذي فرض عليها أثناء الاحتلال. وحذر من استمرار الكثير من تلك النخب وخاصة بالمغرب العربي في الدفاع على وجوده وتجذيره في مجتمعاتها في عهد الاستقلال. وحث الشعوب العربية على تحرير نفسها من الازدواجية اللغوية الأمارة وما لها من تحرش على هويتها.

ولنا فيما ذهب إليه "سالم شاكر" في كتابه الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب خير مثال على تلك النخب الفكرية التي أشار إليها "محمود الذاودي"، عندما يزعم "أن الجزائر المعاصرة تكونت كدولة- وطن (Etat-nation) مؤكدة على وحدتها حول اللغة العربية والدين الإسلامي ضد التواجد الاستعماري، فلا غرابة – حسبه- إذن حين يرفض كل ما يمس بهذه الأسس. ويضيف أن الأمازيغية اعتبرت من بين أهم العناصر المهددة لهذا الاستقرار، أو على الأقل ينظر إليها بنظرة مملوءة بالشك"[17]. وكما هو واضح أن استنتاجه الأخير جاء بدون مقدمات، فليس هناك أي ربط منطقي بينه وبين ما سبقه من أفكار.

والسؤال هنا هو عن مبررات هذا الانزلاق، على حساب الموضوعية العلمية، التي يتوجب الالتزام بها في مقام كهذا. وطبعا ما كان لباحث وأكاديمي مثل سالم شاكر وهو الأستاذ بجامعة باريس8، أن يفعل هذا لو تقيد بصرامة المنهج العلمي وتجرد من ذاتيته وقناعاته الإيديولوجية.

ولحسن الحظ أن هناك العديد من المفكرين النزهاء ينحدرون من منطقة القبائل من أمثال "أرزقي فراد"، يتميزون بموضوعية علمية عالية أهلتهم لتصدر المشهد الثقافي والفكري في الجزائر بآرائهم السديدة ومواقفهم الجريئة، التي كثيرا ما بينت للرأي العام الوطني بطلان مثل هذه الطروحات المشبعة بشحنات إيديولوجية متطرفة.

وابتداء من عام 1990م عرفت الوضعية المؤسساتية للغة الأمازيغية تحسنا لافتا، سواء ما تعلق بتشجيع قطاع النشر ومحاولات إنشاء صحافة باللغة الأمازيغية، أو ما تعلق بالسمعي البصري. حيث بدأ التلفزيون الرسمي يبث مع نهاية 1991م نشرة موجزة للأخبار يوميا باللغة الأمازيغية.

وتواصل تجاوب المؤسسات الرسمية للدولة مع المطلب الأمازيغي، بإنشاء المحافظة السامية للأمازيغية، بموجب المرسوم الرئاسي الصادر بتاريخ: 28/ 05/ 1995م، الذي نص بوضوح على ضرورة التفتح على اللغة الأمازيغية، باعتبارها إحدى مكونات الثقافة والهوية الوطنية لكل الجزائريين. وهو ما

شرع في تجسيده على أرض الواقع، مع انطلاق تدريس اللغة الأمازيغية في الطور الثانوي، لتوسع لاحقا إلى الأطوار الأخرى.

وبعدما أكد السيد رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في بداية عهدته الأولى (ردا على استفزازات أنصار اللغة الأمازيغية) في لقاء جمعه بسكان ولاية تيزي وزو، بأنه لا يمكن ترسيم اللغة الأمازيغية، إلا من خلال استفتاء رسمي للشعب الجزائري. عاد وتراجع عن ذلك، وقرر دسترتها على التوالي: كلغة وطنية في دستور2008م، ثم كلغة رسمية في دستور2016م. وعندها اعتقد الجميع أنه سحب بالفعل ورقة اللغة الأمازيغية من سوق المزايدات والتوظيف السياسوي. إلا أنهم سرعان ما اكتشفوا أن هناك من يريد لهذه المشكلة ألا تنتهي أبدا، لأن الرهان الحقيقي هو تفكيك المجتمع الجزائري بضرب وحدته الوطنية وزرع الفتن بين أبنائه.

ثالثاً

الأحزاب السياسية وإشكالية اللغة الأمازيغية في الجزائر

توصلت بعض الدراسات التي تناولت موضوع النظام التعليمي الجزائري إلى نتيجة مفادها، أن أسبقية السياسي والإداري على العلمي والبيداغوجي في تسيير شؤونه، هي واحدة من مشكلاته الكبرى. ومن أجل مناقشة علاقة الأحزاب السياسية في الجزائر باللغة الأمازيغية، وتتبع التطور التاريخي لهذه العلاقة، يتوجب الوقوف عند المراحل التالية:

1- مرحلة أحزاب الحركة الوطنية:

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن ظهور النزعة الأمازيغية كحركة ذات طابع سياسي يعود إلى سنوات 1947/1946م، حيث اندفعت جماعة من الشبان الطلبة إلى الانضمام إلى الحركة الوطنية من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي، لكن البعض منهم كانوا يخفون أيديولوجية مغايرة لأيديولوجية ومبادئ الحركة الوطنية في الصميم، حيث تشكلت نواة مشبعة بالفكر الفرنكو-شيوعي تطالب بالبربرية للجزائر، مع رفض الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري.

وتكفي الإشارة هنا إلى ما عرف بالأزمة البربرية في حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1948-1949م)، بعدما دق "أحمد بودة" جرس الإنذار وهو عضو اللجنة المركزية في الحركة في ديسمبر 1948م، عندما بلغ عن النزعة البربرية التي تعدت الأفكار إلى الأعمال، وحاولت التهيكل داخل الحزب نفسه. وإذا كانت النزعة البربرية قد رفضت بصرامة كبيرة داخل صفوف الحركة الوطنية، فإن "يوسف بن خدة" [18] وهو أحد قياديها أكد على علاقة أنصار هذه النزعة بالاستعمار الفرنسي، ولذلك حكمت قيادة الحزب بطرد "محند علي يحيا" وكل الذين شاركوا في العمل الانعزالي، وتضامنوا معه، وقررت إلغاء جريدة النجم الجزائري، بعدما تأكدت من مؤامرتهم التجزيئية، باكتشافها وجود حزب الشعب القبائلي، الذي تهيكل داخل حزب الشعب الجزائري، وبعده حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

2- مرحلة الحزب الواحد:

ارتبط النضال السياسي من أجل المطلب الأمازيغي خارج صفوف جبهة التحرير الوطني في مرحلة الحزب الواحد دوما بالعمل السياسي السري من جهة، وبمناورات الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى. ولعل الأكاديمية البربرية وعلاقتها المشبوهة بفرنسا خير مثال على ذلك.

فكل الدلائل تشير إلى أن فرنسا التي ظلت طوال مائة وثلاثين سنة من احتلالها للبلاد جاهلة ومتجاهلة للبربرية، لا تدرسها ولا تعترف بها. و بعد خروجها من الجزائر صاغرة، تلتفت إليها فجأة في شهر مارس سنة 1967م، وتقرر الإعلان عن ميلاد الأكاديمية البربرية في باريس، بالاستثمار في نقمة وتطرف المدعو "بسعود محند أعراب" المولود سنة 1924 م بولاية تيزي وزو، والذي سبق له وأن ناضل في حزب الشعب ثم التحق بثورة التحرير عند اندلاعها سنة 1954م.

ويبدو أن "محند أعراب" أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما وقعت الفتنة على الحكم عقب الاستقلال، فأصدر كتابه الموسوم "سعداء هم الشهداء الذين لم يروا شيئا"، عبر فيه عن قناعته بأن صراعات العصب في قيادة الثورة التي أودت بحياة ضباط وقياديين كبار منهم "عميروش" و"عبان رمضان"، كانت تغذيها نزعة عرقية استهدفت – برأيه – أبناء منطقة القبائل. فحكم عليه بالإعدام في فترة الرئيس بن بلة، ليفر سنة 1966م إلى فرنسا أين أسس الأكاديمية البربرية، وتفرغ للنضال فيها إلى غاية اعتقاله لمدة ستة أشهر من طرف الحكومة الفرنسية، حيث غادر بعدها الأراضي الفرنسية سنة 1978م نحو منفاه الثاني إنجليترا، ليقضي بها بقية حياته.

وهناك من يرى أن "محند أعراب" كان بدوره من المدافعين الغلاة عن القضية الأمازيغية دفاعا عرقيا، مما جعله يصطدم مع البعد العربي الإسلامي للشخصية الوطنية، حيث ركز على العنصر اللغوي على حساب العنصر الديني، وبلغ به التطرف إلى درجة أنه لم يستبعد النضال المسلح من أجل تحقيق مشروعه، وعبر عن ذلك بكل وضوح في كتابه " تاريخ الأكاديمية البربرية " بقوله : " إنني لا استبعد شكلا جديدا من النضال قد يكون نضالا مسلحا إن دعت الضرورة إلى ذلك ...". كما أكد في كتابه هذا على دور الفرنسي "جاك بيني " الرئيسي في الحصول على الاعتماد للأكاديمية، الشيء الذي يثير مزيدا من الشكوك حول تورط المخابرات الفرنسية في هذا المسعى، لأن هذا الشخص كان مقربا من قصر الإيليزي خلال الثورة التحريرية وما بعدها، وعرف بتقديمه لتقارير عديدة عن القضية الأمازيغية للسلطات الفرنسية.

ولعل ما يضاعف هذه الشكوك أيضا هو وجود المدعو " أعمر نارون " ضمن قيادة الأكاديمية وهو المعروف بقناعته السياسية الموالية لفرنسا(أحد أنصار الجزائر فرنسية) وقربه من اليمين الفرنسي. أما بالنسبة لموقف الأحزاب السياسية الجزائرية المعارضة التي كانت تنشط وقتها في السرية وتتواجد في فرنسا بشكل خاص، والتي ينحدر قادتها من منطقة القبائل الكبرى، ومنها حزب حسين أيت أحمد (f.f.s) وحزب كريم بلقاسم (m.d.r.a)، فقد نظرت إلى هذه الأكاديمية بعين السخط واعتبرتها مجرد تشويش عليها، خاصة وأنها ذات صبغة عرقية تشوه العمل السياسي الوطني[19].

وقد جاء النص الرسمي ذي (الطابع السري) لوزير العدل الفرنسي السابق (آلان بيرفيت)، والذي نشرته صحيفة "ليبيراسيون الفرنسية" بعد سنتين من صدوره، وذلك في عددها الصادر يوم:1980/07/06م، والذي يوصي فيه بتشجيع الحركة البربرية في الجزائر والمغرب العربي عموما، لأسباب استراتيجية تخدم المصلحة العليا لفرنسا[20]، ليفضح نوايا فرنسا في زرع هذه القنبلة الانشطارية الموقوتة في الجزائر، وإعداد فئة من أبناء واحدة من قلاعها المغرر بهم، لتفجيرها عندما يحين وقت ذلك.

وبدورها جبهة القوة الاشتراكية التي كانت تنشط وقتها في السرية، والتي سبق لها وأن تحفظت على إنشاء الأكاديمية البربرية، قررت سنة 1979 إدراج مطلب اللغة الأمازيغية في برنامجها السياسي. مما دفع ببعض النشطين في الحركة الثقافية الأمازيغية للالتحاق بصفوفها، إيمانا منهم بأن نشاطهم في أمس الحاجة إلى إطار هيكلي حزبي، هذا الاستقطاب الذي نافسها فيه فيما بعد حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية، وطبعا كانت له انعكاساته على التعبئة السياسية لسكان منطقة القبائل بصفة عامة، وعلى الحركة الثقافية الأمازيغية تحديدا.

3- مرحلة التعددية الحزبية:

دخلت الجزائر عهد التعددية الحزبية مباشرة بعد الإصلاحات السياسية التي جاء بها دستور 1989م. وقد اغتنم حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية فرصة اعتماده غير الدستوري ليضع مطلب اللغة الأمازيغية على رأس أولوياته رغم تناقض ذلك مع ما ورد في نفس الدستور.

وإذا كان الصراع اللغوي قد ازداد حدة في الجزائر بعد ظهور مطلب اللغة الأمازيغية بقوة مع بداية الثمانينات، وخاصة بعد أحداث الربيع الأمازيغي 1980م، وانفراد الحركة الثقافية الأمازيغية بالنضال من أجله إلى غاية 1989م، فإن الصراع اللغوي بين الفاعلين السياسيين في ظل التعددية الحزبية استمر بدوره، وخاصة بعد صدور القانون رقم: (91-05) المؤرخ في: 1991/10/15م المتضمن قرار تعميم اللغة العربية الذي عدل وتمم لاحقا بتاريخ: 1996/12/21م، والذي لم يجد طريقه إلى التنفيذ، بل وأكثر من ذلك أن أعضاء المجلس الانتقالي استغلوا ظروف اغتيال الرئيس الراحل " محمد بوضياف " لتجميده[21].

ولعل المفارقة التي شهدتها الساحة السياسية في الجزائر بعد ما قرر رئيس الجمهورية الحالي عبد العزيز بوتفليقة دسترة اللغة الأمازيغية على التوالي: كلغة وطنية ثم كلغة رسمية، هي أنه وفي الوقت الذي اعتقد فيه الجزائريون أنه تم بموجب ذلك القرار، سحب ورقة اللغة الأمازيغية من سوق المزايدات والتوظيف السياسوي، ارتفعت أصوات أشباه الساسة من قيادات ما يسمى "بالأحزاب السياسية" - بما فيها تلك التي عرفت برفضها القاطع سابقا لهذا التوجه- مهللة للقرار. وبالنظر لضعف انغراسها الاجتماعي وإفلاس خطاباتها السياسية، فإن تعاطي هذه القيادات مع إشكالية اللغة الأمازيغية، كثيرا ما تسبب في إضفاء المزيد من الغموض عليها. بل أنها عاجزة تماما على طرح تساؤلات جوهرية حول هذه الإشكالية، فما بالك بتقديم أجوبة علمية لها.

4- التطرف الأيديولوجي والتآمر على اللغة العربية:

إذا كانت السياسية هي فن الممكن، ومن حق السياسي أن يطمح بل ويعمل من أجل تجسيد قناعاته على أرض الواقع، فإنه يتوجب على الدارس والباحث أن يلتزم بالنزاهة والموضوعية العلمية، إذا أراد لنتائج أبحاثه أن تكون على درجة عالية من الصدق والدقة العلمية. والمفارقة بالنسبة لبعض الأكاديميين الجزائريين الذين اشتغلوا على المسألة الأمازيغية وخاصة منهم بعض أولئك الذين ينحدرون من منطقة القبائل، هي نزعتهم الانفصالية وإصرارهم المفضوح على اختزال الأمازيغية في القبائلية. وكذا خوفهم المزعوم على الهوية الوطنية مما يسمونه "بالعربية المدرسية" وادعائهم بأن اللغة الفرنسية هي الأنسب للمجتمع الجزائري، وهو أمر يثير الاستغراب ويبرر الشكوك.

وقد تكفي الإشارة على سبيل المثال إلى بعض ما ورد في كتاب سالم شاكر سالف الذكر للتدليل على انزلاقه الأيديولوجي وتوجهاته التجزيئية، حيث أنه [22]:

- اختزل اللغة الأمازيغية في القبائلية ونعت فرعها الأخرى(الشاوية، الميزابية..) باللهجات.

- أعاب صراحة على حزبي جبهة القوى الاشتراكية والتجمع الوطني الديمقراطي إصرارهما وحرصهما على بعدهما الوطني، واتهمهما بالتفريط في المشروع الأمازيغي مقابل الثبات والاستماتة في الدفاع على الخط الوطني، وطالما أنها ديمقراطية وجمهورية فهي على حد زعمه مناقضة لتطلعات قواعدها الانفصالية في منطقة القبائل.

والأمر هنا ليس بعيدا عما أسماه "محمود الذوادي": "الازدواجية اللغوية الأمارة"، والتي يعني بها[23] تلك الازدواجية اللغوية التي يتراجع فيها أو يتدهور استعمال اللغة الأم/ الوطنية لصالح لغة ثانية دخيلة مما يؤدي إلى نوع من الاغتراب النفسي بين اللغة الوطنية وخاصة المواطنات والمواطنين وعامتهم. وبضيف أن هذا التعريف ينطبق في حيز الوطن العربي على سكان المجتمعات المغاربية والخليجية.

ولعل خير مثال عن عرابي هذه "الازدواجية الأمارة" في الجزائر مصطفى الأشرف (قيادي سابق في جبهة التحرير الوطني، وزير سابق وعضو مؤسس للتحالف الوطني الجمهوري) الذي حاول في مقال له صدر في مجلة الثقافة أن يختصر مشاكل التربية في التعريب والمعربين، مع دعوة صريحة للازدواجية اللغوية، وتوجيه الشكر للمسؤولين الذين رفضوا الانصياع لرغبات التعريب. ولكن لا يوجد أثر يذكر عن أي موقف لمصطفى الأشرف لصالح اللغة الأمازيغية.

واللافت هنا هو أن مصطفى الأشرف تجاهل متعمدا حقيقة لا غبار عليها، وهي أن الذين أشرفوا على عملية التعريب هم من التيار الفرنكوفوني. وقد عرف عليه شخصيا أن أول قرار اتخذه عندما أسندت إليه وزارة التربية الوطنية هو إبعاد جميع الإطارات السامية المعربة من الوزارة واستبدالهم بالمفرنسين.

رابعاً

سياسات الإصلاح التربوي وإشكالية اللغة الأمازيغية في الجزائر

إذا كان النظام التعليمي الجزائري ما فتئ يتراجع عن القيام برسالته الأساسية، في نقل المعرفة ونقدها وإنتاجها وتجديدها، فلأنه أيضا – على حد زعم بعض المهتمين بشؤون التربية والتعليم في الجزائر- مازال لم يحسم بعد في واحدة من أكبر إشكالياته وهي إشكالية اللغة، على اعتبار أن صراع الفاعلين السياسيين حول لغة التعليم، تعليم اللغات الأجنبية ومؤخرا تعليم اللغة الأمازيغية مازال مستمرا، وكأن هناك من يريد له ألا ينتهي أبدا.

وتكمن أهمية اعتماد اللغة الوطنية لأي مجتمع في تعليم أبنائه، في كونها الوعاء الذي يحفظ ثقافته ولكونها الضامن الوحيد لتوريثها للأجيال، و حمايته من مخاطر الغزو الثقافي الأجنبي التي ما فتئت تتعاظم مع تيارات العولمة الجارفة.

وبالنسبة للغة الأمازيغية، فإنه قد يصعب على الدارس المهتم بمكانتها في النظام التعليمي الجزائري، أن يقف على أي أثر لها في هذا النظام، طيلة الثلاثة عقود الأولى بعد الاستقلال. فبالإضافة إلى توقيف تدريسها بجامعة الجزائر في السنة الأولى لاستقلال البلاد بسبب ضعف الإقبال على تعلمها حيث لم يتجاوز عدد الطلبة المسجلين بها (07 طلاب: هولنديان + قبائليان وثلاثة عرب)[24]. وهو رقم يحمل أكثر من دلالة، على اعتبار أن عددا كبيرا من الطلبة الذين ينحدرون من منطقة القبائل كانوا يدرسون بنفس الجامعة لكنهم لم يظهروا أي ميل لدراسة اللغة الأمازيغية.

وكما سبقت الإشارة فإن بوادر الانفراج بالنسبة لوضعية اللغة الأمازيغية بدأت تلوح في سماء الجزائر مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، وخاصة بعد الظاهرة الكبيرة للحركة الثقافية الأمازيغية سنة 1990م، من أجل الاعتراف باللغة الأمازيغية ، وكذا بعد ما سمي "بإضراب المحفظة" لنفس الغاية في منطقة القبائل طيلة الموسم الدراسي 1995/1994م، وما ترتب عنه(المحافظة السامية للأمازيغية، الشروع في تدريس اللغة الأمازيغية في قطاع التربية، فتح قسمين للغة الأمازيغية في بجاية وتيزي وزو...)

أما عن نصيب اللغة الأمازيغية في آخر الإصلاحات التي جاءت بها اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية(1999-2001) فلا يكاد يذكر، بدليل أن حظها من العناية مازال متعثرا ولم يختلف كثيرا عن الفترة التي سبقتها.

وبالعودة إلى شهادة (أحد أعضاء هذه اللجنة) "رابح خدوسي" في كتابه: المدرسة والإصلاح – مذكرات شاهد- يمكن ملاحظة أنها وإن جاءت محملة بشحنة عاطفية وانفعالية، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميتها وقيمتها العلمية، لأنها اعتمدت على الملاحظة بالمشاركة، وتدعيمها بالأدلة والشواهد الواقعية والتاريخية، خاصة وأن ما خلص إليه في كتابه هذا جدير بالتأمل والتمحيص، ولاسيما منه [25]:

1- إن فرنسا خرجت من حقول وعقول الشعب الجزائري، ولم تخرج من ذهنيات النخبة المفرنسة التي تتشكل منها أغلبية اللجان الرسمية، أو تلك التي تسند لها مقاليد زمام الحكم في البلاد.

2- هناك في السلطة جناح قوي يدعم التيار الفرنكفوني الذي يرعى النظام المدرسي الحالي ويدعم مواقع اللغة الفرنسية فيه، ويرفض كل تغيير لا يسير في خدمة هذه اللغة وثقافتها.

3- يهدف هذا التقرير في العمق من الناحية الأيديولوجية وفي موضوع اللغات والتربية الإسلامية تحديدا إلى إلغاء البعد الحضاري العربي والإسلامي للجزائر، ويقطع جذورها بامتدادها المشرقي دينا ولغة. وهذا ما سعت إليه فرنسا خلال احتلالها للجزائر، وتسعى إليها حاليا بعض التيارات الموالية لها.

4- بقليل من التمحيص والتدقيق وبقراءة متأنية خلف سطور التقرير، تتجلى بعض المخاطر التي تهدد الجزائر على المديين المتوسط والبعيد في كينونتها ووحدتها.

وحتى وإن اختلف البعض مع "رابح خدوسي" في بعض ما خلص إليه، فإنه لا يصعب على العاقل أن يتبين كيف أن اللغة والثقافة الأمازيغية لم تكن في صلب اهتمام ولا صراع الفاعلين السياسيين الذين هيمنوا على عضوية اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية وتحكموا في سير أعمالها، كما لم تكن في أغلب المحطات الحاسمة من تاريخ الجزائر المستقلة. بل أن انتصارهم وتعصبهم كان دوما لصالح اللغة الفرنسية.

أما عن مجهودات وزارة التربية الوطنية لتدريس اللغة الأمازيغية، فإن الولايات المعنية بتدريسها في السنة الراسية (1999/98م) هي:

أم البواقي، باتنة، بجاية، بسكرة، بويرة، تامنراست، تيزي وزو، الجزائر، سطيف، وهران، البيض، إيليزي، بومرداس خنشلة، تيبازة، غرداية. إلا أن تدريسها قد تركز في ثلاثة ولايات بشكل أساسي، وهي : تيزي وزو في المرتبة الأولى بمجموع24530 تلميذ، ثم بجاية ب13695 تلميذ وبعدها البويرة ب 11664تلميذ. مما يدل على أن الولايات المذكورة تعطي أهمية للموضوع عكس باقي الولايات التي تبدو غير مهتمة، وخاصة منها ولاية البيض التي لم يسجل بها أي تلميذ رغم تواجد مجموعات أمازيغية هامة بها[26].

ولعل الوقوف عند أرقام الجدول التالي من شأنه توضيح واقع هذه اللغة بعد أربع سنوات من إدماجها:

جدول رقم:(01): يبين واقع اللغة الأمازيغية في قطاع التربية والتعليم عبر 16ولاية (السنة الدراسية: 1999/98م).

عدد المؤسسات والتلاميذ				التأطير (أساتذة)				المجاميع		
ثانوي	تلميذ	متوسط	تلميذ	معلم	أ.ت.م	أ.ت.ث	متقاعد	مؤسسات	تلاميذ	تأطير
36	10884	160	55730	49	95	33	43	196	66611	220

المصدر: وزارة التربية الوطنية مؤشرات إحصائية (1995- 2005)

وفي تصريح لوزيرة التربية الوطنية تناقلته وسائل الإعلام الجزائرية أواخر شهر فيفري 2018م ذكرت(27) أن وزارتها تسعى لتعميم تدريس اللغة الأمازيغية على مستوى 48 ولاية عبر الوطن مع الدخول المدرسي المقبل 2018/ 2019م. ومن أجل ذلك قامت بتخصيص أزيد من 330 منصب مالي لأساتذة هذه

اللغة. وفي تقييم لها لتعليم اللغة الأمازيغية منذ سنة 1996 إلى سنة 2018 أشارت الوزيرة إلى أن عدد التلاميذ تضاعف 10 مرات (من 37.700 إلى 343.656) في حين تضاعف عدد أساتذتها 12 مرة (من 233 إلى 2.772) .

ورغم تباهي الوزيرة بهذه الأرقام، إلا أن ذلك يبقى بعيدا عن طموحات عرابي الإيديولوجيا ودعاة الانفصال في منطقة القبائل الذين نجحوا في برمجة أبنائها المتمدرسين إيديولوجيا، بدليل تحريضهم على الإضراب مؤخرا وإخراجهم إلى الشارع للاحتجاج بحجة عدم تدريس اللغة الأمازيغية في بعض مناطق الوطن.

ونظرا لتسييس موضوع اللغة الأمازيغية في الجزائر، وعدم الاتفاق على كتابتها بحروف موحدة (المسألة محل خلاف بين أصحاب المطلب أنفسهم، بين مدافع عن الحروف العربية ومن يحن إلى حروف التيفيناغ ومتعصب للحروف اللاتينية)، وصعوبة توفير الإطارات اللازمة لتدريسها، فإن هذا المسعى يبقي بعيدا عن طموحات أنصار اللغة الأمازيغية أنفسهم.

وقد أصبحت مسألة الحروف التي تكتب بها محل صراع، وفي هذا المجال أكد "دوراري" المتخصص في اللغويات في ندوة "الأمازيغية بين التعليم والنشر" أن سبب تقهقر تعليم اللغة الأمازيغية يعود إلى عدم وجود أدوات تدريسها كعدم الاستقرار حول الحروف التي تكتب بها، وقد توصل إلى أن الأحرف العربية هي الأنسب إلى تدريس اللغة الأمازيغية، بسبب عدم تغير نطق الحروف حسب الحالة، عكس اللاتينية التي يتحول نطق حروفها حسب حالات وجود الحروف، فمثلا السين يتحول إلى زاد والكاف إلى سين. ويضيف "دوراري" أن الموجة الغالبة حاليا هي كتابة اللغة الأمازيغية بالأحرف اللاتينية، ويرجع ذلك إلى انعكاسات المرحلة التي رفضت فيها الحكومات السابقة الاعتراف بهذه اللغة. وينتهي إلى القول أن تنوع اللهجات في الجزائر كان بإمكانه أن يكون عامل قوة لو لم يكن أول المسكوت عنه عند تحرير بيان أول نوفمبر، لأن التفكير يومها كان أحاديا، وقد يعود ذلك حسبه إلى التخوف من انفجار الأمة[28].

إن النزعة الإقصائية التي ميزت توجهات السلطة الحاكمة غداة الاستقلال اتجاه اللغة الأمازيغية فوتت على المجتمع الجزائري فرصة الارتكاز على أسس هويته الثقافية، والانطلاق نحو المستقبل بقوة وتلاحم، يقيه شر التمزق ويزوده بالمناعة اللازمة ضد كل المحاولات التي يمكن أن تهدد استقراره وتماسكه. ولولا هذا الإقصاء ما كان للحركة البربرية أن تكون، وما كان لنشاط بعض غلاتها ومواقفهم المتطرفة أن تصل إلى ما وصلت إليه. ولعل أسوأ ما في الأمر كله هو محاولات احتواء هذه الحركة من طرف بعض الأحزاب السياسية وسعيها المتواصل للاستثمار في نشاطها، وتغذية النزعة المتطرفة عند أنصارها، الشيء الذي ولد لديهم نزعة إقصائية تختزل اللغة الأمازيغية في اللهجة القبائلية بما تحمله هذه النزعة من خطورة على تماسك المجتمع واستقراره.

وعلى حد قول محمد العربي الزبيري: "إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتبليغ كما يزعم البعض، لكنها وعاء حضاري وأداة للثقافة، بالإضافة إلى كونها عنصرا أساسيا من العناصر المكونة للشخصية

الوطنية. فإذا ما ازدهرت تفتحت الشخصية الوطنية واستطاعت أن تحقق استقلالها، وإذا ما تقهقرت انغلقت الشخصية على نفسها وجنحت إلى التخلف والجمود"[29].

لذلك فحل هذه الإشكالية مرهون بتحريرها من قبضة الفاعلين السياسيين وإبعادها عن تطرف عرابي الإيديولوجيا، وعندها فقط يمكن لأهل الاختصاص من الباحثين والمفكرين أن يعملوا من أجل ترقيتها وتطويرها بكل هدوء ومسؤولية وبعيدا عن صخب السياسية ومناوراتها.

الخاتمة:

كما هو واضح، فإن التطرف الإيديولوجي هو أهم ما ميز صراع الفاعلين السياسيين في الجزائر المستقلة حول مسألة اللغة الأمازيغية ، وقد حال دون ترقيتها إلى لغة وطنية ورسمية جامعة لكل اللهجات المكونة لها. وذلك بالنظر لمحاولة بعض الأطراف القفز على البعد الأمازيغي للهوية الوطنية الجزائرية ومحاولة البعض الآخر اختزال هذا البعد في اللغة الأمازيغية، وأخطر من ذلك أن هناك من حاول ولا زال يحاول اختزال هذه اللغة في اللهجة القبائلية، ويصر على إقصاء باقي اللهجات الأخرى، كالشاوية، الميزابية، الترقية ..وغيرها.

ولأن أغلبية سكان الجزائر هم أمازيغ، والأمازيغ غير الناطقين بالأمازيغية هم أغلبية هؤلاء السكان، فإن الأسئلة التي تطرح نفسها هنا بإلحاح هي:

- من يملك شرعية الدفاع عن اللغة الأمازيغية في الجزائر؟
- عن أي لغة أمازيغية نتحدث ؟
- هل يمكن اختزال اللغة الأمازيغية في واحدة من لهجاتها الفرعية؟

وليس هناك أنجع من البحث عن أجوبة علمية لهذه الأسئلة من طرف النخب العالمة والعارفة، لفضح النوايا المشبوهة لبعض الفاعلين السياسيين وعرابي الإيديولوجيا، الذين يجدون كل الدعم من الدوائر الاستعمارية في مسعاهم الرامي إلى تشكيك الجزائريين في هويتهم وتفكيك روابط وحدتهم.

الهوامش:

(1) محمد بوقشور: النظام التعليمي والتنمية في الجزائر- دراسة سوسيولوجية-، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية(غير منشورة)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2010 م، ص: 209.

(2) شبل بدران: ديمقراطية التعليم في الفكر التربوي المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2000م، ص 60.

(3) مصباح عامر: علم اجتماع الرواد والنظريات، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص: 53.

(4) ABDELKADER SID AHMED : croissance et développement, théories et politiques tome1. Office de publication universitaires, Alger 1979.

(5) Mahfoud bennoune: éducation culture et développement en Algérie, bilan et perspectives du système éducatif.marinoor- ENAG, Alger, 2000.

(6) Pierre erny : L'enseignement dans les pais pauvres –modeles et propositions- Librairie-Edition L'Harmattan, Paris ,1989.

(7) صالح أبو صيني: اللغة العربية في عصر المعلوماتية، في: حوليات جمعية كلية الآداب، المجلد1، اتحاد الجامعات العربية، الاردن، 2004 ، ص: 89.

(8) كايسة عليك: المقاربة التواصلية وتعليم اللغة العربية من الفرنسية، في: الخبر اليومي العدد:4989، الجزائر،16 أفريل 2007.

(9) حمدي أحمد: مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص:80.

(10) محمود الذوادي: الازدواجية اللغوية الأمارة، منشورات تبر الزمان، تونس، 2013، ص: 36.

(11) أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، شركة دار للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، ص: 136.

(12) عبد الرحمان شيبان: لم نحرر اللغة العربية من الفرنسية، في الخبر اليومي، العدد 4989، الجزائر 16/ 04/ 2007م.

(13) محمد بوعشة: ازمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي بين الضياع وامل المستقبل دار الجبل ط1 بيروت 2000، ص-ص: 67، 68.

(14) إبراهيمي الطاهر: منظومة التشريع المدرسي والمردود التربوي للمدرسة الجزائرية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، 2003 ص-ص 291 293

(15) محمد العربي الزبيري: المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1989، ص: 83 .

(16) محمود الذوادي: مرجع سابق.

(17) سالم شاكر (ترجمة حبيب الله منصور): الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص: 170.

(18) أحمد بن نعمان: مرجع سابق، ص: 32.

(19) محمد أرزقي فراد: الأكاديمية البربرية بين الحقيقة والافتراء ، في جريدة الشروق اليومية ، الجزائر 2007/04/17م ، ص: 11.

(20) أحمد بن نعمان: مرجع سابق، ص: 145.

(21) بشير كاشة ، هل من التفاتة إلى قانون تعميم استعمال اللغة العربية ، في جريدة الخبر اليومية ، العدد :4952 ، الجزائر، يوم:2007/03/04م ، ص:21

(22) سالم شاكر: مرجع سابق، ص-ص: 170- 176.

(23) محمود الذاودي: مرجع سابق، ص: 09.

(24) أحمد طالب الإبراهيمي: مذكرات جزائري (الجزء الثاني)، دار القصبة للنشر الجزائر 2008 ص 44.

(25) رابح خيدوسي: المدرسة والإصلاح –مذكرات شاهد- دار الحضارة، ط1، الجزائر: 2002 ، ص: 151.

(26) وزارة التربية الوطنية الجزائرية مؤشرات احصائية 1995- 2005.

(27) www.elkhabar.com le 28/02/ 2018.

(28) جريدة الخبر اليومية، العدد:5805، الجزائر في:2009/11/01م، ص:20

(29) محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص: 83.